قصيدة التوبة

وها أنذا بعد موتٍ كثيرْ
أعودُ اليكِ قليلا
ثقيلَ الخُطى عاقلا مستحيلا
أعودُ بلا أسفٍ (تذكرينَ ، رحلتُ بلا أسفٍ)
الدخانُ الذى كنتُ
يلتفُ شالاً على كتفِ اللهِ

حَبْلاً على عُنْقِ لصٍّ صغيرْ
ويلتفُّ هالةَ نورٍ على القلبِ
سرّاً يؤرّثُ في الروحِ ناراً
ويُطلق غزلانَه في براري الكآبةِ

ها أنذا بعد موتٍ أعودْ
على جبهتي وَصْمتي
والمشيبُ الذي وَخَط الصدغَ كفّارتي
بعد موتٍ طويلٍ أعودْ
لماذا ؟ لمن ؟ كيف ؟ لا تسأليني
ولا تقتليني ،
أعودْ
وحيداً كما كُنتُ
حيّاً كما متُّ
حُرّاً كئيباً
شقياً سعيدْ
أعود اليكِ
لأبكيَ بينَ يديكِ

وأصمتَ بين يديكِ
وأرحلَ ثانيةً في فضائي القريب البعيدْ .
سأعترفُ الآن ،
لم يَبْقَ منِّي سوى نخلتي المائلهْ
ولم يبقَ مني سوى هذه البذلة الحائلهْ
وأعترفُ الآنَ ،
لم يبقَ منكِ سوى وردةٍ يَبِسَتْ في كتابٍ قديم
وأغنيةٍ ذابلهْ
أُحبكِ ؟
لا تسأليني
ولا تقتليني
أنا الحبُّ ! لا أعرف الحُبَّ
لا علمَ لي بكنوز بحاري
ولا بثماري
مكثت طويلا على الأرضِ
أعترفُ الآنَ
لم أطأ الأرضَ

لم ألمسِ الأرضَ
أدمنتُ خَمرَ التشردِ
عاشرتُ تركيةً في البرازيل
جامعتُ صِرْبيةً في فرنسا
عشقتُ على شاطيء الكَنجِ روسيةً
وعلى قِمَم الألب ضاجعتُ هنديةً
وانكفأتُ إليكِ
لأقرأ مُستقبلي في كتابي القديم
وما من كتابٍ سوى راحتيكِ ..

هُدوءٌ رزينٌ على المائدهْ
وكأسانِ مضطربانِ
ونحنُ قَريبانِ جداً
بعيدانِ جداً
ولا شيء منا
ولا شيء فينا
ولا شيء غير زهورٍ من الظلِّ

بينَ أصابعنا الباردهْ

خواءٌ يُضيءُ خواءاً
ويُظلم قلبانِ في آخر الصيفِ
قُبَّرتانِ تموتانِ من حسرةٍ
إنَّ كفَّ الإلهِ التي نثرتْ قمحَها للجياع
وأغدقَتِ الوردَ
كفّ الالهِ التي ذكرتْ
نسيتْ أننا بعضُ هذي الخلائقِ
من أين جئتُ ؟
وهل كنتِ
هل كنتُ ؟!
لا تسأليني
ولا تقتليني
خواءً يُضيءُ
وتُظلم في الفجرِ عاصمةٌ
تَستديرُ الجماهيرُ ساخطةً

فجأةً تهدأ الماكناتُ
وتجمدُ في الطرق العجلاتُ
كسوفٌ ثقيلٌ يَحُطُّ على شُرُفاتِ المنازِلِ
عاصفةٌ في الجحيم
صدوعٌ على ناطحاتِ السحابِ
انهيارٌ يُطيح بمبنى الاذاعةِ
تسقطُ من شاشةِ التليفزيون
مطربةٌ تتأوهُ في لوعةٍ
طَقْمُ أسنانِها الذهبيُّ
يحطّ كطائرةِ الهيليكوبتر في الكأسِ
كيف تُرى أشربُ الآن ؟
لَنْ أقربَ الكأسَ
لا تشربي !
تلكَ رأسيَ في كأسكِ
انتبهي
إنَّنا ميتانْ
وما من مكانٍ لنا

غير هذا المكانْ ..

وداعاً

وداعاً

ومن بعد موت كثير أعود إليكِ قليلا

ثقيلَ الخُطى ، عاقلاً ، مستحيلا ..